Available online at https://faau.journals.ekb.eg/

SCREENED BY iThenticate Professional Plagiarism Prevention

Faculty of Arts Journal

Print ISSN: 2786-0108
Online ISSN: 2786-0116

SCHOOL OF EDUCATIONAL SCIENCES ACCORDING TO SHIITE PHILOSOPHY

Ahmed A. Kamel[1], Zainab A. Shaker[2], Othman M. Othman[1]

1. Dept. Islamic Philosophy, Fac. Arts, Arish Univ., Egypt.

2. Dept. Islamic Philosophy, Fac. Arts, Menoufia Univ., Egypt.

ABSTRACT:

Anyone who is familiar with doctrine's truth of extremist Sufism and the truth of the doctrines of extremist Shiism will find that the two doctrines stem from almost the same origin and ultimately aim at one goal and share the general beliefs and laws that each of them impersonates. Both extremist Shiites and Sufis claim that they have special knowledge that distinguishes them from all other Muslim sects, and they are not accessible to the public. One of the most dangerous issues to which both extremist Sufis and Shiites are exposed is the issue of guardianship. What the Shiites claim about their imams is the same as what the Sufis claim about their guardians. The doctrine of the extremists of Sufis and Shiites was built on the belief that the imams and saints are people chosen by God Almighty to lead the nation after the Messenger, and that they therefore possess special worldly knowledge, and therefore they don't make mistakes or forget, and they have their status before God which they deserved by merit, gift, specialization, and observance. Then they went to extremes in These imams made them gods and lords in every sense of the word. Hence, the wrong interpretations of the concept of guardianship among extremist Sufis and Shiites have opened a wide door through which many evils have entered upon Muslims, such as the glorification of the imams of extremist Sufis and Shiites, added to many misguidances, deviations, and heresies that may expel their owner from Islam.

Keywords: Guardianship, Shia, Sufism, infallibility, miracles.

موقف أهل السنة من مفهوم الولاية عند الصوفية والشيعة

أحمد على كامل[١]، زينب عفيفي شاكر[٢]، عثمان محمد عثمان[١]

١. قسم الفلسفة الإسلامية، كلية الآداب، جامعة العريش، مصر.
٢. قسم الفلسفة الإسلامية، كلية الآداب، جامعة المنوفية، مصر.

المُلَخَّصُ:

فإن المطلع على حقيقة مذاهب غلاة الصوفية، وعلى حقيقة مذاهب غلاة التشيع يجد أن المذهبين ينبعان من أصل واحد تقريبًا ويهدِفان في النهاية إلى غاية واحدة، ويشتركان في عامة العقائد والشرائع التي ينتحلها كلٌ منهما. فكل من غلاة الشيعة والصوفية يزعمون أن لهم علومًا خاصة يتميزون بها عن سائر فرق المسلمين، وهي ليست مبذولةً لعموم الناس. ومن أخطر القضايا التي تعرض لها كل من غلاة الصوفية والشيعة قضيةُ الولاية، فما زعمه الشيعة في أئمتهم هو عين ما ادعاه المتصوفة لأوليائهم، فقد بُني مذهب غلاة الصوفية والشيعة على أن الأئمةَ والأولياءَ أناسٌ مختارون من قبل الله سبحانه وتعالى لقيادة الأمة بعد الرسول، وأنهم لذلك يملكون علومًا خاصةً لدنيةً، وهم لذلك لا يخطئون ولا ينسَون، ولهم منزلتهم من الله التي استحقوها استحقاقًا وهبةً واختصاصًا واجتباءً، ثم غلوا في هؤلاء الأئمة فجعلوهم آلهة أربابًا بكل ما تحمله الكلمةُ من معنى. ومن هنا فقد فتحت التأويلاتُ الخاطئةُ لمفهوم الولاية عند غلاة الصوفية والشيعة بابًا واسعًا دخلت منه كثير من الشرور على المسلمين كتعظيم أئمة غلاة الصوفية والشيعة فضلًا عن كثير من الضلالات والانحرافات والبدع التي قد تخرج صاحبَها من الإسلام.

الكلمات الاسترشادية: الولاية، الشيعة، الصوفية، العصمة، الكرامات.

المُقَدِّمَةُ

مفهوم الولاية

أولًا: الدلالة الدينية لمفهوم الولاية عند أهل السنة

مفهوم الولاية لغةً:

الولي بفتح فسكون: أصل صحيح يدل على القرب والدنو، وأوليت أن أفعل كذا: أي دنوت أن أفعله.

والولاية تستعمل في عدة معانٍ، منها: الولاء، والملك، والقرب، والقرابة، والنصرة، والمحبة، والخطة، والإمارة، والسلطان، والبلاد التي يتسلط عليها الوالي.

وقال ابن الأثير: "وقد تختلف مصادر هذه الأسماء فالوَلاية بالفتح في النسب والنُّصرة والعتق يقال: هم على ولاية أي مجتمعون في النصرة، والوِلايةُ بالكسر في الإمارة والسلطان والخطة"[١].

وقال الإمام الشوكاني رحمه الله: "الولاية ضد العداوة، وأصل الولاية المحبة والتقرب كما ذكره أهل اللغة وأصل العداوة البغض والبعد"[٢].

ويتضح من ذلك أن الوَلاية بفتح الواو هي محل هذه الدراسة، حيث أن الولاية بكسر الواو تعني الإمارة والسلطان، أما الوَلاية بالفتح تعني النصرة، والمحبة، والقرب، والدنو، وهذه المعاني تدل على ولاية الله للعبد المؤمن، وموالاته له.

مفهوم الولاية اصطلاحًا:

لقد اختلفت عبارات العلماء من حيث اللفظ لا المعنى في تحديد مفهوم الولاية، سواء أكانت الولاية عامة أو خاصة.

قال ابن تيمية: "الولاية: ضد العداوة، وأصل الولاية: المحبة والقرب، وأصل العداوة: البغض والبعد.

وقد قيل: إن الولي سمي وليا من موالاته للطاعات، أي: متابعته لها، والأول أصح. والولي: القريب، يقال: هذا يلي هذا، أي: يقرب منه"[٣].

وقال أيضا: "ولاية الله موافقته بأن تحب ما يحب، وتبغض ما يبغض، وتكره ما يكره وتسخط ما يسخط، وتوالي من يوالي، وتعادي من يعادي"[٤].

وقال ابن القيم: "الولاية عبارة عن موافقة الولي الحميد في محابه ومساخطه"[٥].

وقال الصنعاني:" اعلم أن الله تعالى قد عرفنا بأوليائه في كتابه العزيز، فقال :ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ثم فسرهم تعالى بقوله :الذين آمنوا ...الآية، فإنها مستأنفة استئنافا بيانيا، كأنه قيل: من هم؟ فقال :الذين آمنوا وكانوا يتقون ...إذا عرفت هذا عرفت أولياء الله، وأن صفاتهم الخوف من الله، والإقبال على ما يرضاه، والإعراض عن كل ما سواه"[٦].

وقد ذكر ابن القيم أن ولاية الله تعالى نوعان: عامة، وخاصة:

فأما الولاية العامة: "فهي ولاية كل مؤمن، فمن كان مؤمنًا، لله تقيًا، كان الله له وليًا، وفيه من الولاية بقدر إيمانه وتقواه"[٧]، يدل على هذا قوله تعالى: {وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ} [آل عمران: ٦٨]، وقوله سبحانه: {اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ} [البقرة: ٢٥٧].

وفي هذا النوع من الولاية قال ابن تيمية: "فالظالم لنفسه من أهل الإيمان معه من ولاية الله بقدر إيمانه وتقواه، كما معه من ضد ذلك بقدر فجوره، إذ الشخص الواحد تجتمع فيه الحسنات المقتضية للثواب والسيئات المقتضية للعقاب، حتى يمكن أن يثاب ويعاقب، وهذا قول جميع أصحاب رسول الله ﷺ وأئمة الإسلام وأهل السنة"[٨].

---

(١) لسان العرب، تأليف: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر – بيروت للطباعة، (٤٠٥/١٥)

(٢) قطر الولي في حد شرح حديث الولي، للشوكاني، ص (٧٠)

(٣) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية، ص (٩)

(٤) الإستقامة، ص (١٢٨/٢).

(٥) الجواب الكافي لابن القيم، ص (١٩٤).

(٦) الإنصاف في حقيقة الأولياء للصنعاني، ص (٤٤،٥٠).

(٧) بدائع الفوائد (١٠٦/٣)

(٨) مختصر الفتاوى المصرية، ص (٥٨٨)

Faculty of Arts, Arish University

وأما الولاية الخاصة: "فهي القيام لله بجميع حقوقه، وإيثاره على كل ما سواه في جميع الأحوال، حتى تصير مراضي الله ومحابه هي همه ومتعلق خواطره، يصبح ويمسي وهمه مرضاة ربه وإن سخط الخلق"(١).

وفي هذا النوع من الولاية يقول الشوكاني: "الولي في اللغة: القريب، والمراد بأولياء الله: خلص المؤمنين، لأنهم قربوا من الله سبحانه بطاعته واجتناب معصيته" (٢).

فعلى الأول: يكون الولي من تولى الله عز وجل رعايته وحفظه، فلا يكله إلى نفسه، كما قال سبحانه: {وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ} [الأعراف: ١٩٦].

وعلى الثاني: يكون الولي من تولى عبادة الله وطاعته، فهو يأتي بها على التوالي، آناء الليل وأطراف النهار.

ويجنح إلى هذا ما عرفه به السيوطي: "هو العارف بالله تعالى حسب ما يمكن، المواظب على الطاعات، المجتنب للمعاصي، المعرض عن الانهماك في اللذات والشهوات"(٣).

وكذا تعريف الهيتمي للأولياء بأنهم: "القائمون بحقوق الله وحقوق عباده، بجمعهم بين العلم والعمل، وسلامتهم من الهفوات والزلل" (٤).

ولا يخفى أن سلامتهم من الهفوات والزلل لا تعني العصمة، إذ لا عصمة إلا لنبي، ولكن كما قال ابن عابدين على معنى أن الله يحفظ الولي من تماديه في الزلل والخطأ إن وقع فيهما، بأن يلهمه التوبة فيتوب منهما، وإلا فهما لا يقدحان في ولايته" (٥).

من خلال هذه التعريفات لمفهوم الولاية نجد أن معظمها يدور حول تحقيق الإيمان والتقوى، وحفظ حدود الله، وطاعته، وامتثال أوامره، واجتناب نواهيه؛ وحيث أن الإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي، فإن الولاية تبعٌ له، لأن الإيمان طريق الولاية. فكل مؤمن له ولاية حسب إيمانه، فكل من فيه إيمان وتقوى فهو وليٌ لله، والولاية تتفاضل بتفاضل الأعمال، فمنهم من تكون ولايته كاملة، ومنهم من تنقص ولايته بنقص إيمانه، وهذا ما ذكره الإمام الطحاوي رحمه الله: "والمؤمنون كلهم أولياء الرحمن، وأكرمهم عند الله أطوعهم وأتبعهم للقرآن" (٦).

من هنا نستطيع أن نخلص بتعريف للولي اصطلاحا، وهو: كل مؤمن تقي طائعًا لله مجتنبًا نواهيه، حافظًا لحدوده، ذكرًا كان أو أنثى، ومات على ذلك.

ثانيًا: الدلالة الدينية السياسية لمفهوم الولاية عند الشيعة الإمامية:

يرى الشيعة أن لفظ الولاية ومشتقاتها قد يستعمل في أكثر من معنى، وسوف أتناول بعض هذه التعريفات للولاية، والتعقيب عليها.

١- **ولاية المحبة أو ولاية القرابة لأهل البيت**

وهذا يعنى أن الناس مطالبون بالولاء لأهل بيت رسول الله ﷺ، ولا تتم هذه الولاية إلا بالبراءة من أعدائهم، وقد عقد شيخهم المجلسي في كتابه بحار الأنوار بابًا في هذا الشأن بعنوان "باب وجوب موالاة أوليائهم ومعاداة أعدائهم"، وذكر فيه "٢٢" رواية، ومما ذكره فيه: "قيل للصادق عليه السلام: إن فلانًا يواليكم إلا أنه يضعف عن البراءة من عدوكم، فقال: هيهات كذب من ادعى محبتنا ولم يتبرأ من عدونا"(٧)، ويقصدون بذلك أنه لا يتولى أحدٌ أهلَ البيت إلا بالتبرؤ من أبي بكر وعمر وأكثر الصحابة رضي الله عنهم.

٢- **الولاية المحمدية أو ولاية الزعامة الدينية والسياسية**

وفي ذلك يقول محمد جواد مغنية: "الولاية الثابتة للإمام قطعًا وبضرورة المذهب هي الولاية المحمدية، ونعني بالولاية المحمدية: أن كل حق ثبت لرسول الله ﷺ على المسلمين فهو بذاته ثابت للإمام المعصوم، لأنه الممثل الشرعي لرسول الله ﷺ في جميع الشؤون التي تقبل النيابة والتمثيل"(٨).

---

(١) بدائع الفوائد (١٠٧/٣)

(٢) فتح القدير (٤٣٦/٢)

(٣) إتمام الدراية للسيوطي، ص (٨)

(٤) الفتاوى الحديثة لابن حجر الهيثمي، ص (٣٠١)

(٥) مجموعة رسائل ابن عابدين، (٢ /٢٧٧)

(٦) الحنفي: صدر الدين علي بن علي بن محمد بن أبي العز، شرح الطحاوية في العقيدة السلفية، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الطبعة الأولى (١٤١٨هـ)، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد –المملكة العربية السعودية، ص (٢٣٤)

(٧) بحار الأنوار للمجلسي، ص (٥٨/٢٧)

(٨) مغنية: محمد جواد، فلسفة الولاية، ص (٢٨)

Faculty of Arts, Arish University

ويقول الدكتور عابد الجابري: " والولاية في تصورهم **"سلطة إلهية"** خص الله بها الأنبياء والأولياء سواء بسواء ذلك أن كل الفرق بين النبي والولي، حسب ما يروونه عن جعفر الصادق، أكبر الأئمة عندهم، هو أن النبي يحل له من النساء أكثر من أربع بينما لا يحل ذلك للولي (الإمام).

أما ما عدا هذا، فالولي ـ أو الإمام ـ هو في منزلة النبي، يُبلِّغ عنه ويتحدث باسمه، وتعتبر تعاليمه من تعاليم النبي أو هي نفسها"[١].

فالولي عندهم من له فرض الطاعة واتباع الأمر والنهي، يقول محمد باقر الكجوري: "الولي: هو من جعل الله وجوب طاعته واتباع أمره وحكمه على الخلق أجمعين، وأوجب عليهم الاعتقاد بوجوب طاعته، وهذا هو معنى الولاية"[٢].

ويقول الخوئي: "والتولي هو قبول ولاية الأئمة، وإن لهم من مناصب النبي الأكرم ﷺ بعده منصب الزعامة على المسلمين، وكونهم أوصيائه ﷺ في إبلاغ أحكام الشريعة، وأخذها منهم"[٣].

يقول الدكتور الجابري: "ومن هنا كانت الولاية عندهم قضية أصولية، بل ركن من أركان الإسلام، بل أول ركن فيه، والباقي تَبَع له على أنه إذا كان الشيعة يقرنون أو يساوون بين الولاية والنبوة فهم يميزون بين النبي والرسول، فالرسول هو الذي يوحى إليه ويكلف بتبليغ الرسالة، أما النبي والإمام فيوحى إليهما ولكن دون أن يكلفا بتبليغ رسالة جديدة، وإنما يشرحان رسالة الرسول الذي يندرجان في دوره"[٤].

ويعتقد بثبوت هاتين الولايتين -ولاية المحبة، وولاية الزعامة الدينية والسياسية- للأئمة سائر الشيعة، يقول محمد تقي المجلسي: "ولي علي عليه السلام أي من يتولاه ويقول بإمامته بلا فصل ويتولى أولاده من الأئمة المعصومين أو الولاية المذكورة مع المحبة"، ويقول أيضًا: "الولاية: الوصاية الخاصة والخلافة بلا فصل وزعامة الأمة الإسلامية بعد النبي الأقدس ﷺ، ووجوب المحبة وود العترة الطاهرة الزاكية"[٥].

٣- **ولاية التصرف والاستيلاء على الشخص أو الامر إمَّا تكوينيًا [٦]، وإما تشريعيًا**

فالولي هو الذي يطاع وله حق الطاعة والتصرف في الأمور، وأن تصرفه نافذ تكوينيًا أو تشريعيًا.

جاء في كتاب تفسير الصراط المستقيم: "الولاية: هي التصرف والوساطة في الأمور التكوينية والتشريعية، وهي رياسة عامة وتصرف كلي في جميع الأمور التكوينية والتشريعية، وهي الوساطة العامة بين المخلوق والخالق"[٧]، "وأنهم لما كانوا وسائط الفيض، فلهم نحو مالكية الأشياء، وأن الله تعالى جعل لهم اختيار التصرف في الدنيا والآخرة، فهم من قبل الله ملاك التصرف في كل شيء، وإن كانت الأموال لصاحبها، وهذه ولاية عامة كلية بالنسبة إلى جميع الموجودات"[٨].

والقول بثبوت هذه الولاية بهذا المعنى محل خلاف بين الشيعة، ولم يقل به سائرهم.

وفي ثبوت الولاية للأئمة بهذا المعنى الشامل يقول محمد صادق الروحاني: "للولاية معانٍ:

١- الولاية التكوينية.
٢- وجوب الطاعة وقبول قول الولي في الأحكام الشرعية.
٣- الحكومة والرئاسة الدنيوية بإدارة شؤون الأمة.
٤- الولاية الشرعية، أي ولاية التصرف في الأموال والأنفس.
٥- وجوب الطاعة في الأوامر الشخصية العرفية، والظاهر ثبوت الولاية بجميع معانيها للنبي والأئمة صلوات الله عليهم أجمعين"[٩]

---

(١) الجابري: محمد عابد، بنية العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة التاسعة، بيروت، ٢٠٠٩م، ص (٣٢٠)

(٢) الكجوري: محمد باقر، الخصائص الفاطمية، ص (١٦٩/١)

(٣) الخوئي، صراط النجاة مع تعليق التبريزي، ص (٤٥٢/٣-٤٥٣)

(٤) بنية العقل العربي، للجابري، ص (٣٣٠)، بتصرف

(٥) الاصبهاني: محمد تقي المجلسي، روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه، ص (٣٥٦/١)

(٦) تكوينيًا: مأخوذة ومشتقة من الكون، والكون هو: الحدث، وعليه فيكون التكوين بمعنى الاحداث والايجاد، ومن ثم تكون الولاية التكوينية: هي قدرة المعصوم على التصرف في الأمور الكونية إيجادًا وإعدامًا على خلاف القوانين الطبيعية بتفويض من الله في وقت التحدي وغيره من الأوقات. (يُنظر: الولاية التكوينية بين القرآن والبرهان، ضياء القطيفي، ص (٦٣)).

(٧) البروجردي: حسين، تفسير الصراط المستقيم، ص (١٤١/٣).

(٨) الخميني: مصطفى، كتاب البيع، ص (٢١/٣).

(٩) الروحاني: محمد صادق، فقه الصادق، ص (١٥٣/١٦).

Faculty of Arts, Arish University

وإن لم ينص هنا على الولاية بمعنى المحبة إلا أن القول بثبوت هذه الولايات للأئمة إنما هو ناتج عن محبتهم؛ بل والغلو فيهم.

تعقيب على مفهوم الولاية عند الشيعة:

هذا المعنى للولاية الذي يثبته بعض الشيعة لأئمتهم إنما هو معنىً باطل، لما فيه من الغلو والإفراط والتعصب الشديد لهم وإنزالهم منزلة الأنبياء والرسل من ثبوت العصمة لهم، فضلًا عب بغضهم لأصحاب النبي ﷺ ورضي الله عنهم جميعًا.

والحق الذي عليه أهل السنة هو حب الصحابة ﷺ جميعًا مع عدم الإفراط والغلو في حب أحد منهم، ولا التبرؤ من أحدهم، يقول الإمام الطحاوي رحمه الله: "ونحب أصحاب رسول الله ﷺ ،ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم، وبغير الخير يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان" [(١)] **، ويقول الشارح معلقًا: "ولا نفرط في حب أحد منهم، أي لا نتجاوز الحد في حب أحد منهم، كما تفعل الشيعة، فنكون من المعتدين. قال تعالى: {يَاأَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ} [النساء: ١٧١]، وقوله: ولا نتبرأ [من أحد] منهم، كما فعلت الرافضة! فعندهم لا ولاء إلا ببراء، أي لا يتولى أهل البيت حتى يتبرأ من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما!! وأهل السنة يوالونهم كلهم، وينزلونهم منازلهم التي يستحقونها، بالعدل والإنصاف، لا بالهوى والتعصب، فإن ذلك كله من البغي الذي هو مجاوزة الحد، كما قال تعالى: {فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ} [الجاثية: ١٧]"** [(٢)].

ثالثًا: الدلالة الدينية الروحية لمفهوم الولاية عند الصوفية

يقول الدكتور الجابري: "لقد كان من الطبيعي أن يبدأ المتصوفة السنيون كلامهم على "الولاية" بالعمل على تأسيسها شرعا، وذلك بالتماس سند لها من القرآن والسنة، فمن القرآن يذكرون قوله تعالى: {أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [يونس: ٦٢]، وإذا كانت هذه الآية لا تحمل بالضرورة كل المضامين التي حملها الصوفية لمفهوم "الولاية" عندهم، فإن الحديث التالي الذي ترويه كتب الحديث المشهورة، يكاد ينطق بما يريدون.

يقول الحديث: "إن من عباد الله عبادًا يغبطهم الأنبياء والشهداء، قيل: من هم يا رسول الله؟ وصِفهم لنا لعلنا نحبهم، قال عليه السلام: قوم تحابوا بروح الله من غير أموال ولا اكتساب، وجوهرهم نور على منابر من نور، لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس" [(٣)].

ثم يعلق الدكتور الجابري على هذا الحديث بقوله: "وإذا كان ليس من الضروري الشك في صحة هذا الحديث على مستوى السند، فإن المعنى الذي يضمّنه له المتصوفة ليس من الضروري قبوله. فالهجويري مثلا ـ وهومؤرخ للتصوف ـ يشرحه بقوله: "والمراد من هذا هو أن تعرف أن لله عز وجل أولياء قد خصهم بمحبته وولايته، وهم ولاة ملكه الذين اصطفاهم وجعلهم آية إظهار فعله، وخصهم بأنواع الكرامات وطهرهم من آفات الطبع، وخلصهم من متابعة النفس، فلا همَّ لهم سواه، ولا أنس لهم إلا معه".

يقول الجابري: "وواضح أن الواحد من الناس، ممن يتقنون العربية وعلوم القرآن وعلوم الحديث، لا يمكن أن يستنبط، من نص ذلك الحديث، هذه المعاني التي ذكرها الهجويري دون أن تكون لديه معرفة مسبقة بها" [(٤)].

ثم إن عبارات الصوفية قد اختلفت في تعريف الولاية مع اتحادها في أهميتها مع كون الولاية مقصدًا وغاية، مع العناية بتحصيل الكرامات، وإن كان للكرامات النصيب الأكبر حتى عدها بعضهم أنها شرط لصحة الولاية، وسوف أتناول بعض تعريفات غلاة الصوفية للولاية، والتعقيب عليها.

١- تعريف أبي يزيد البسطامي [(٥)]

قال أبو يزيد: " حظوظ الأولياء مع تباينها من أربعة أسماء، وقيام كل فريق منهم باسم، وهو: الأول، والآخر، والظاهر، والباطن، فمتى فني عنها بعد ملابستها فهو الكامل التـام، فمن كان حظه من اسمه تعالى الظاهر لاحظ عجائب قدرته، ومن كان حظه من اسمه البـاطن لاحظ ما جرى في السرائر من أنواره، ومن كان حظه من اسمه الأول كان شغله

(١) ابن أبي العز الحنفي: صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد، شرح الطحاوية – ط دار السلام (٢٠٠٥)، ص (٤٦٧).

(٢) شرح الطحاوية، ص (٤٧٠)

(٣) بنية العقل العربي، للجابري، ص (٣٤٨)

(٤) بنية العقل العربي، للجابري، ص (٣٤٨)

(٥) وهو أبو يزيد طيفور بن عيسى بن سروشان ولد سنة (١٨٨هـ) بمدينة بسطام بفارس –بلدة بين خراسان والعراق– ونسب إليها، كان جده سروشان مجوسيًا ثم اعتنق الاسلام، ولعل بقايا تلك المجوسية لعبت دورها في خلط إسلامه بعقائد غير إسلامية، وظهور شطحاته الفلسفية، عاش حوالي سبعين عامًا، واستوطن بغداد، وتوفى سنة (٢٦١هـ).

Faculty of Arts, Arish University

بمـا سـبق، ومن كان حظه من اسمه الآخر كان مرتبطًا بما يستقبله، وكلُ كُوشفَ على قدر طاقته إلا مـن تولاه الحق سبحانه ببره، وقام عنه بنفسه" [١].

تعقيب على تعريف أبي يزيد

في تعريف أبي يزيد اقتصر على أربعة أسماء فقط من أسماء الله تعالى، وأن الولي نال حظه من الأسماء الأربعة فقط مع أن المؤمن مأمورٌ بالتعبد بأسماء الله كلها، كما قال تعالى: {وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [الأعراف: ١٨٠]".

٢- تعريف أبي سعيد الخراز [٢]

يقول أبو سعيد الخراز: " إذا أراد الله تعالى أن يوالي عبدًا من عبيده فتح عليـه بـاب ذكره، فإذا استلذ الذكر فتح عليه باب القرب، ثم رفعه إلى مجالس الأنس به، ثم أجلسه علـى كرسي التوحيد، ثم رفع عنه الحجب وأدخله دار الفردانية، وكشف له عن الجلال والعظمـة، فإذا وقع بصره على الجلال والعظمة بقي بلا هو فحينئذ صار العبد زمنًا فانيًا، فوقع في حفظـه سبحانه، وبريء من دعاوى نفسه"[٣]

تعقيب على تعريف أبي سعيد الخراز

في هذا التعريف نجد أن الخراز قد حصر التولي وقرب العبد من ربه على الذكر فقط، وإن كنا لا نقلل من الذكر، بل له فضل كبير وعظيم، ولكن هذا تضييقٌ لواسع، فباب القرب ليس فقط الذكر؛ بل النوافل كلها بجميع أنواعها، كما في حديث الولاية القدسي المشهور، فعن أبي هريرة ﷺ أن رسول اللَّه ﷺ قال: "إن اللَّه تبارك وتعالى قال: من عادى لي وليًا فقد آذنْته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيءٍ أحب إلي من أداءِ ما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافِلِ حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطِش بها ورجله التي يمشي بها، ولئِنْ سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيءٍ أنا فاعله ترددي عن قبضِ نفسِ عبدي المؤمن؛ يكره الموت وأكره مَسَاءَتَهُ ولا بد له منه"[٤].

فتخصيص الذكر دون غيره من النوافل يوحي بتعظيم الذكر دون غيره من النوافل عند غلاة الصوفية، وتضييق لبابٍ واسعٍ ألا وهو باب النوافل، فالنوافل هي كل ما يتقرب به العبد إلى الله تعالى زيادة على الفرائض، كالصلاة، والصيام، والصدقة، وقراءة القرآن، وغيرها، وعليه فالتقرب لا يكون بالذكر فقط.

شئٌ آخر وهو رفع الحجب بقوله: ثم رفع عنه الحجب، فهل الولي يُرفع لـه الحجـب فيرى الغيب، ويعلم ما سيكون؟! الجواب: قطعًا لا، فالنبيﷺ وهو نبي لم يكن يعلم الغيـب، كما سيأتي معنا إن شاء الله تعالى.

٣- تعريف القشيري [٥] للولي

قال الإمام القشيري رحمه الله: " الولي له معنيان، أحدهما: فعيل بمعنى مفعول، وهو من يتولى الله سبحانه أمره، قال تعالى: {إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ} [الأعراف: ١٩٦]، فلا يكله إلى نفسه لحظة؛ بل يتولى الحق سبحانه رعايته، والثاني: فعيل مبالغة من الفاعل، وهو الذي يتوالى عبادة الله وطاعته، فعبادته تجري على التوالي من غير أن يتخللها عصيان، وكلا الوصفين واجب حتى يكون الولي وليًا يجب قيامه بحقوق الله تعالى على الاستقصاء والاستيفاء، ودوام حفظ الله تعالى إياه في السراء والضراء، ومن شرط الولي: أن يكون محفوظا، كما أن من شرط النبي أن يكون معصومًا" [٦].

تعقيب على تعريف القشيري:

في هذا التعريف للولي يوحي بالعصمة، وذلك من خلال قوله" من غير أن يتخللها عصيان" يعني عصمته من المعاصي، وإن صرح بلفظ الحفظ بقوله: "ومن شرط الولي أن يكون محفوظًا"، ولكن ورد في مواضع أخرى للقشيري ما

---

(١) الرسالة القشيرية، ص (١١٧)

(٢) أبو سعيد أحمد بن عيسى الخراز البغدادي، وهو من أهل بغداد، صحب ذا النون المصري، وأبا عبيد البسري، وصحب أيضا سريًا السقطي، وبشر بن الحارث، وغيرهم، وهو من أئمة الصوفية، وجلة مشايخهم، قيل: إنه أول من تكلم في علم الفناء والبقاء، من كبار شيوخ الصوفية، مشهورًا بالورع والمجاهدة، ومات سنة ٢٨٦هـ، "يُنظر تاريخ بغداد وذيوله ط العلمية" (٥/ ٣١)

(٣) الرسالة القشيرية، ص (٢١٨)

(٤) رواه البخاري كتاب الرقاق (١١ / ٣٤٠) (رقم: ٦٥٠٢)

(٥) هو عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة النيسابوري القشيري، (٣٧٦ – ٤٦٥ هـ)، من بني قشير ابن كعب، أبو القاسم، زين الإسلام، شيخ خراسان في عصره، زهدًا وعلمًا بالدين، كانت إقامته بنيسابور وتوفي فيها، وكان السلطان ألب أرسلان يقدمه ويكرمه، " يُنظر: الأعلام للزركلي، (٥٧/٤)".

(٦) الرسالة القشيرية، ص (١١٧).

Faculty of Arts, Arish University

يدل على المقصود بـالحفظ هـو العصمة صراحة من هذا الموضع كقوله أيضًا: " ولا يكون وليًا إلا إذا كان موفقًا لجميع ما يلزمه من الطاعات، معصومًا بكل وجـه عن جميع الزلات" [١]، فهل هناك من البشر من هو معصوم من جميع الزلات إلا من عصمه الله تعالى من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

٤- تعريف لسان الدين بن الخطيب [٢]

قال ابن الخطيب: " الولاية: أن يتولى الله الواصل على حضر قدسه، بكثير مما تولى به النبـي مـن حفظ، وتوفيق، وتمكين، واستخلاف، وتصريف"[٣].

تعقيب على تعريف ابن الخطيب

يوحي تعريف ابن الخطيب بالمساواة بين النبي والولي فـي الحفظ والتصريف، فكلامه يوحي بأن الولي يحدث له من الآيات، والمعجزات ما يحدث للنبي، وهذا لا يستوي في عقيدة أهل السنة والجماعة -كما سيأتي معنا إن شاء الله في التفريق بـين النبـي والولي.

٥- تعريف الحكيم الترمذي [٤]

يقول الدكتور الجابري: "تُجمع المصادر الصوفية على أن أول من تكلم من المتصوفة في "الولاية" هو أبو عبد الله محمد بن علي الحكيم الترمذي المتوفى سنة ٢٨٥هـ، صاحب كتاب ختم الأولياء، وسرعان ما غدت الولاية بعده قاعدة وأساس طريقة التصوف والمعرفة جملة" [٥].

أما تعريف الولاية عند الحكيم الترمذي، فيقول: "فهؤلاء كلهم أولياء حقوق الله، وهم أولياء الله يصيرون إلى الله تعالى في مراتبهم، فيحلون بها ويتنسمون روح القرب، ويعيشون في فسحة التوحيد والخروج عن رقّ النفس، قد لزموا المراتب، فلا يشتغلون بشيء إلا بما أذن لهم فيه من الأعمال، فإذا صرفهم الله من المرتبة إلى عمل أبدانهم حرسهم، فيمضون مع الحرس في تلك الأعمال، ثم ينقلبون إلى مراتبهم، هذا دأبهم" [٦].

تعقيب على تعريف الحكيم الترمذي

يقر الحكيم الترمذي في تعريفه بمبدأ العصمة بقوله: "فلا يشتغلون بشيء إلا بما أذن لهم فيه من الأعمال"؛ بل جعل الملائكة تحرس هؤلاء الأولياء، فلا يتحركون إلا والحرس معهم، بينما الملائكة لا تتحرك إلا بأمر الله سبحانه لهم، قال تعالى {وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا} [مريم: ٦٤].

نخلص من ذلك

- **أن هذه التعريفات لا يكتفي أصحابها بما جاء في الكتاب والسنة، بل جاءوا بصفات تخرج الولي الصوفي عن الولاية الشرعية إلى معانٍ أخرى من علم الغيب وغير ذلك.**
- **يركز أصحاب هذه التعريفات على مسألة عصمة الأولياء عند الصوفية، ومن المعلوم أن العصمة لا تكون إلا للأنبياء والرسل صلوات الله عليهم أجمعين، أما غيرهم من البشر فلا عصمة لهم.**
- **مثل هذه الأقوال قد تضلل الكثير من عوام الناس الذين يتلقونها دون فهم لمعانيها، وإنما ثقةً في قائليها، حتى اعتقد الكثير منهم فيما يحاط بالأولياء من الكذب والخرافات.**

---

(١) لطائف الإشارات للقشيري، ص (٢٤٨/٣)

(٢) هو لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد بن الخطيب، ولد في رجب (٧١٣ هـ – ١٣١٣م) في قرية لوشة بالقرب من غرناطة، وتوفي في قرية فاس، (٧٧٦ هـ – ١٣٧٤م)، درس الأدب، والطب، والفلسفة في جامعة القرويين بفاس. قضى معظم حياته في غرناطة في خدمة بلاط بني نصر وعرف بذي الوزارتين: الأدب والسيف، من مؤلفاته المعروفة: اللمحة البدرية في الدولة النصرية، الإحاطة في أخبار غرناطة، ولقب لسان الدين بن الخطيب وكان يلقب بذي الوزارتين: القلم والسيف، ويقال له: ذو العمرين؛ لاشتغاله بالتصنيف في ليله، وبتدبير المملكة في نهاره، ومؤلفاته تقع في نحو ستين كتابا، " يُنظر: الأعلام للزركلي، (٦ / ٢٣٥)".

(٣)إحسان إلهي ظهير الباكستاني (المتوفى: ١٤٠٧هـ)، إدارة ترجمان السنة، لاهور – باكستان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ، التَّصَوُّفُ.. المنشَأ وَالمَصَادر، ص (١٨٦)

(٤) هو محمد بن علي بن الحسن بن بشر، أبو عبد الله، الحكيم الترمذي، ولد سنة (٣٢٠هـ- ٩٣٢م)، باحث، صوفي، عالم بالحديث وأصول الدين، قال السلمي: نفوه من ترمذ بسبب تأليفه كتاب ختم الولاية، وله كتاب نوادر الأصول في معرفة أخبار الرسول، " يُنظر: تذكرة الحفاظ، تأليف: الإمام الذهبي، دراسة وتحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، الطبعة الأولى (١٩٩٨م)، (٦٤٥/٢) "، الأعلام للزركلي، (٢٧٢/٦).

(٥) بنية العقل العربي، للجابري، ص (٣٤٧)

(٦) التَّصَوُّفُ.. المنشأ وَالمَصَادر، ص (٢٠٧)

Faculty of Arts, Arish University

- **تفتح مثل هذه الادعاءات أبوابًا من الشرور على الإسلام وأهله أمام أعداء الدين، وتقديمه في صورة مشوهة وكهنوتيه تجعل أعداء الإسلام يتطاولون عليه، ويستهزئون به، وينسبون للإسلام ما ليس منه، حتى قال المستشرق النصراني نيكولسون: "ويطلق المسلمون اسم الولي على الرجل الذي وصل إلى مقام الفناء عن ذاته وإرادته وبقي بالإرادة الإلهية"[(١)].**

الخاتمة والنتائج

١- **ولاية الله تعالى نوعان: عامة، وخاصة:**

فأما الولاية العامة: "فهي ولاية كل مؤمن، فمن كان مؤمنًا، لله تقيًا، كان الله له وليًا، وفيه من الولاية بقدر إيمانه وتقواه"، يدل على هذا قوله تعالى: {وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ} [آل عمران: ٦٨]، وقوله سبحانه: {اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ} [البقرة: ٢٥٧].

وأما الولاية الخاصة: "فهي القيام لله بجميع حقوقه، وإيثاره على كل ما سواه في جميع الأحوال، حتى تصير مراضي الله ومحابه هي همه ومتعلق خواطره، يصبح ويمسي وهمه مرضاة ربه وإن سخط الخلق".

٢- الولاية عند الشيعة لها بُعدٌ سياسي، فالسلطة عندهم إلهية، والأئمة هم وحدهم المنوطون بها، بداية من الإمام علي، مرورا بأبنائه، ولهذا البعد بعض الدعائم، من بينها النص والتعيين والعصمة والعلم، ولهذه الدعائم بعض المظاهر؛ تتمثل في عدم الخروج على الإمام، والطاعة العمياء له .

٣- لقد تطور البعد الديني لمفهوم الولاية عند غلاة الصوفية من البعد السياسي كما كان عند الشيعة، إلى البعد الروحي، فالولي عند الشيعة فقيه وزعيم سياسي وقائد روحي في نفس الوقت، أما الولي الصوفي فإن الموهبة الأساسية التي يدعيها والمهمة الرئيسية التي يمارسها هي القيادة الروحية، وهذا البعد الروحي متسق مع دولة الباطن الصوفية، فالسلطة في الهيكل الصوفي الباطني، تتكون من صاحب السلطة القطب، وهو على قمة الهرم الروحي الديني، ثم تنتهي بالنجباء، والمجاذيب بما يفيد أن الصوفية لهم تنظيمهم الخاص بهم، وسلطتهم القائمة عليه.

٤- ادعاءات غلاة الصوفية للأولياء تفتح أبوابًا من الشرور على الإسلام وأهله أمام أعداء الدين، وتقديمه في صورة مشوهة وكهنوتيه تجعل أعداء الإسلام يتطاولون عليه، ويستهزئون به، وينسبون للإسلام ما ليس منه.

٥- لم يكن هناك شيء أخطر على الأمة الإسلامية من الانحرافات الفكرية؛ فبها تحدث المنازعات والخلافات العقدية والفكرية والشقاقات السياسية، ومنها تخرج أجيال غاية علمهم التعصب لآرائهم والعداء لمن يخالفهم، وتربية من خلفهم على ما تعلموه وما أتقنوه، ولها تُدَس المؤامرات والدسائس والخطط والنقائص.

المصادر والمراجع

ابن أبي العز الحنفي: صدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد، شرح الطحاوية - ط دار السلام ٢٠٠٥م.

ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، الإستقامة، المحقق: د. محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود - المدينة المنورة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣هـ.

ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، حققه وخرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان، دمشق، ١٩٨٥م.

ابن حجر الهيتمي: شهاب الدين أحمد بن محمد بن علي، الفتاوى الحديثة لابن حجر الهيثمي، دار الفكر.

ابن عابدين: محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي، مجموعة رسائل ابن عابدين، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان.

ابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي أو الداء والدواء، دار المعرفة – المغرب، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م.

ابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، بدائع الفوائد، المحقق: علي بن محمّد العمران، دار عطاءات العلم (الرياض)، الطبعة: الخامسة، ١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩م.

إحسان إلهي ظهير الباكستاني (المتوفى: ١٤٠٧هـ)، إدارة ترجمان السنة، لاهور – باكستان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦ هـ، التَّصَوُّفُ.. المنشَأ وَالمَصَادر.

الاصبهاني: محمد تقي المجلسي، روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه، ٢٠٢٠م.

البخاري: أبو عبد الله بن إسماعيل، الأدب المفرد، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، المطبعة السلفية ومكتبتها – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٧٩م.

البروجردي: السيد حسين، تفسير الصراط المستقيم، مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

(١) عفيفي، أبو العلا، في التصوف الإسلامي وتاريخه، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٤٧، ص (١٥٧).

Faculty of Arts, Arish University

البعْليّ: محمد بن علي بن محمد اليونيني البعلي الشهير بابن أسباسلار، القواعد النورانية في اختصار الدرر المضية - المشهور بـ: مختصر الفتاوى المصرية [لابن تيمية]، ركائز للنشر والتوزيع – الكويت، الطبعة: الأولى، ١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩م.
الجابري: محمد عابد، بنية العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة التاسعة، بيروت، ٢٠٠٩م.
الجابري: محمد عابد، بنية العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة التاسعة، بيروت، ٢٠٠٩م.
الحنفي: صدر الدين علي بن علي بن محمد بن أبي العز، شرح الطحاوية في العقيدة السلفية، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الطبعة الأولى (١٤١٨هـ)، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد -المملكة العربية السعودية.
الحنفي: صدر الدين علي بن علي بن محمد بن أبي العز، شرح الطحاوية في العقيدة السلفية، تحقيق: أحمد محمد شاكر، الطبعة الأولى (١٤١٨ه)، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد -المملكة العربية السعودية.
الخميني: روح الله، كتاب البيع، وزارة الثقافة والإرشاد، ١٩٨٧م.
الخوئي: السيد أبو القاسم الموسوي، صراط النجاة مع تعليق التبريزي، مطبعة سلمان الفارسي، ١٤١٤هـ.
الروحاني: محمد صادق، فقه الصادق في شرح التبصرة للامام المحقق آية الله العلامة الحلي، المطبعة العلمية بقُم .
السيوطي: جلال الدين، إتمام الدراية لقراء النقاية، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م.
الشَّوْكَاني: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله، فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٤هـ.
الشوكاني: محمد بن علي بن محمد بن عبد الله، قطر الولي على حديث الولي = ولاية الله والطريق إليها، المحقق: إبراهيم إبراهيم هلال، دار الكتب الحديثة – مصر.
الصنعاني: محمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني، الإنصاف في حقيقة الأولياء ومالهم من الكرامات والألطاف، تحقيق: عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ.
عفيفي، أبو العلا، في التصوف الإسلامي وتاريخه، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٤٧.
القشيري: أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن، الرسالة القشيرية في علم التصوف، المكتبة التوفيقية، ٢٠١٥م.
القشيري: أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن، لطائف الإشارات، المحقق: إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، الطبعة: الثالثة.
الكجوري: محمد باقر، الخصائص الفاطمية.
لسان العرب، تأليف: محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر – بيروت للطباعة، (٤٠٥/١٥).
المجلسي: محمد باقر، حاشية بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار.
مغنية: محمد جواد، فلسفة الولاية.

Faculty of Arts, Arish University

Faculty of Arts, Arish University